Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 50, No. 6, Special Issue 1, 2023

Deanship of Scientific Research

Representations of Utopianism and Dystopia in Ecology: A Study of Subhi Fahmawi's Novels *Akhenaten and Nefertiti al Canaanite* and *Alexandria 2050* through Eco-Criticism

Naaman Th. Mohamad Ameen**, **Arif Abid Sayil

Arabic Language, Arts, Anbar, Ramadi, Iraq

Received: 15/2/2023
Revised: 14/8/2023
Accepted: 13/11/2023
Published: 30/12/2023

* *Corresponding author:*
nua20a1004@uoanbar.edu.iq

Citation: Ameen, N. T. M., & Sayil, A. A. (2023). Representations of Utopianism and Dystopia in Ecology: A Study of Subhi Fahmawi's Novels Akhenaten and Nefertiti al Canaanite and Alexandria 2050 through Eco-Criticism. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *50*(6), 93–106. https://doi.org/10.35516/hum.v50i6.7044

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This study explores the relationship between environmental criticism and utopia and dystopia, revealing the connection between human relations and the environment. It emphasizes the author's environmental vision in the two novels, aiming to foster environmental awareness and moral commitment.

Methods: The study's methodology aligns with the perspective of environmental criticism, as it is an interdisciplinary approach that intersects with various social, cultural, and interpretive contexts. It employs methods such as analysis and context to unveil the environmental implications in the novels.

Results: The author uses environmental utopia and dystopia as narrative tools to critique environmental discourse and address environmental problems caused by human greed. They encourage readers to become aware of sustainable development and find solutions that consider nature as an integrated whole, all while promoting awareness of environmental issues and the preservation of a healthy, pollution-free environment.

Conclusion: This study underscores that environmental criticism is a cultural discourse. The relationship between humans and their environment fundamentally represents a connection between culture and nature, with our perception of it being a cultural construct.

Keywords: Eco-criticism, utopian ecology, dystopian ecology.

تمثلات اليوتوبيا والديستوبيا البيئية في رو ايتي (اخناتون ونيفرتيتي الكنعانية، والإسكندرية 2050) للكاتب صبحي فحماوي، دراسة في ضوء النقد البيئي

نعمان ثابت محمد أمين ، ***عارف عبد صايل***

اللغة العربية، الآداب، الأنبار، الرمادي، العراق.

ملخّص

الأهداف: الغرض من هذا البحث دراسة منهج نقدي جديد يهتم بالعلاقة بين النص الأدبي وتمثلات البيئة ومصطلحي، ثم الكشف عن الارتباط الوثيق بين العلاقات البشرية والمحيط البيئي، وإبراز رؤية الكاتب الإيكولوجية ومظاهر تمثيلها في الروايتين، وكيف تشكل الوعي البيئي، والالتزام الأخلاقي للنص.

المنهجية: لقد جاء منهج الدراسة وفق منظور النقد البيئي، إذ هو منهج بينيّ يتداخل مع سياقات اجتماعية وثقافية وتأويلية متعددة، لنقارب من خلال هذه السياقات تمثلات البيئة عبر مصطلحي (اليوتوبيا والديستوبيا، مع الاستعانة بإجراءات مثل التحليل، والسياق، فضلًا عن أدوات السرد التي تعيننا على كشف المضمرات البيئية في روايات فحماوي.

النتائج: تُعد اليوتوبيا والديستوبيا البيئية اختيارٌ ففي أتاح للكاتب مساحة سردية لنقد الخطاب البيئي، إذ إنَّ الروائي أشار إلى المشكلات البيئية التي توقع حدوثها نتيجة الجشع البشري، ولكنه في الوقت ذاته يدعو القارئ إلى الوعي بالمحيط البيئي وإلى فكرة التنمية المستدامة، بغية إيجاد حلول بيئية تنظر للبيئة بنظرة التقدير والإجلال، فضلًا عن تنمية وعي القراء بالقضايا والمشكلات البيئية والمحافظة على بيئة سليمة نقية خالية من التلوث. في (اليوتوبيا والديستوبيا البيئية) رسم الكاتب عوالم مثالية ومدنًا فاضلة، مقابل عوالم أخرى فاسدة ومظلمة، وفي كلا الحالتين تبلور نقدٌ واضحٌ للخاطب البيئي.

الخلاصة: لقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن (النقد البيئي) خطابٌ ثقافيٌ، يهتم بالعلاقة التي تربط الإنسان بالبيئة، وأنَّ هذه العلاقة هي في الأساس علاقة بين الثقافة والطبيعة، وأنَّ إدراكنا للوعي بهذا الترابط يعد بناءً ثقافيًا.

الكلمات الدالة: الجَندي، الريحانة، الشرح الكبير، الشرح الصغير، موازنة.

المقدمة

لقد شغل النقد البيئي (الإيكلوجي) حيزًا كبيرًا ومهمًا في الدراسات النقدية الغربية والعربية على حدٍ سواء؛ إذ عُد- حديثًا - فرعًا من فروع الدراسات الثقافية التي تشعبت وتشظت في المجالات الإنسانية؛ إذ كان لطروحات (ما بعد الحداثة وبعد ما بعد الحداثة) الأثر الكبير في خلق نوع من التصالح مع البيئة والإنسان، لأن التحولات الجوهرية في مسيرة الإنسان، كانت سبب الصراع الدائم مع الطبيعة التي استنزف الإنسان طاقتها وبددها، لذلك سعى عدد من النقاد لقراءة الأعمال الأدبية التي يتمثل فيها الإحساس بالدور المدمر الذي يقوم به الإنسان تجاه الطبيعة، ومن الأدباء والكتاب الذين طمحوا لمعالجة هذه القضية في إبداعاتهم الأدبية الروائي (صبحي فحماوي)، إذ وقع اختيارنا على روايتين من رواياته (اخناتون ونيفرتيتي الكنعانية، والإسكندرية 2050) لتكونا عينة الدراسة عبر مصطلحي (اليوتوبيا البيئية، والديستوبيا البيئية) بوصفهما مكانين متناقضيين لتمثلات القضايا البيئية، حيث لها القدرة في خلق التغير والاستجابة لدى القارئ في نشر الوعي والثقافة البيئية.

صعوبات الدراسة: في حدود اطلاعي المتواضع لم أجد من تناول مصطلحي (اليوتوبيا والديستوبيا البيئية) بجانبها التنظيري والتطبيقي من منظور النقد البيئي, وأكثر من الاستشهاد لها من النصوص الروائية, فضلًا عن قلة الدراسات التي تناولت النقد البيئي في جانبها التطبيقي.

خطة البحث: قُسمت الدراسة إلى جانبين, الأول: كان تنظيريًا لمفهوم النقد البيئي وجذوره الفلسفية, فضلًا عن مفهوم اليوتوبيا والديستوبيا وعلاقتهما بالنقد البيئي. أما الجانب الثاني فقد كان تطبيقًا, على مستوى التحليل النقدي البيئي, ورصد المظاهر البيئية واشتمل على: اليوتوبيا والديستوبيا البيئية في رواية (أخناتون ونيفرتيتي الكنعانية), واليوتوبيا والديستوبيا البيئية في رواية (الإسكندرية 2050). ثم تأتي الخاتمة مشتملة على أهم نتائج البحث, ويليها قائمة بالمصادر والمراجع.

الجانب النظري

مفهوم النقد البيئي

النقد البيئي (Ecocriticism) حقل معرفي جديد في الدراسات الإنسانية والعلوم البيئية، مخصّص لدراسة العلاقة بين الأدب والبيئة في النصوص والخطابات الإبداعية والثقافية، بمعنى آخر يُعنى بدراسة العلاقة التي تربط الإنسان ببيئته الطبيعية، وما يترتب على هذه العلاقة من توتر وقلق نتيجة النمو الصناعي والتكنولوجي، فهو يحاول دراسة النصوص الإبداعية من منظور بيئي يبحث عن مكانة البيئة الطبيعية أو الأرض، آملٌ في رصد رؤى المبدعين ووجهة نظر كل واحد منهم تجاه الأزمة البيئية التي يُعد الإنسان المسبب الرئيس لها.

ولا شك في أنَّ علاقة البشر بالبيئة قد شهدت في الآونة الأخيرة تحولًا خطيرًا، إذ شهد الكوكب اعتداءً من الإنسان المعاصر الذي ينظر للأرض على أنها مادة أولية ينبغي له استغلالها واستهلاكها من منطلق نفعي (براغماتي) مشوه، منزوع من أي بعد أخلاقي وتوعوي في ما يتعلق بالطبيعة. (الحسامي، 2009: 245), إذ يعالج "الناقد مشكلة العلاقة بين الأدب والمجتمع, وموقف الأديب من المجتمع" (صايل, 2012: 119) والبيئة, ورصد مضمون الطبيعة للأعمال الأدبية ذاتها, لأنه عند "النظر إلى التاريخ كلّه والعوامل البيئية الفاعلة في تشكيل العمل الفني, والعوامل الأساسية الحاسمة في حياة الإنسان العامة" (صايل, 2012: 119).

وبالعودة إلى تعريفات النقاد الغربيين للنقد البيئي، يعرّف (سكوت سلوفيتش) النقد البيئي بوصفه "دارسة النصوص البيئية الصريحة، بواسطة مقاربة بحثية، واستكشاف التعقيدات البيئية والعلاقات بين الإنسان والطبيعة في أي نصّ أدبي" (نيومان وآخرون، 2021: 229). فهو يعالج القابع أو المطمور من علاقة الإنسان بتفاصيل البيئة. وسارَ على هذا المنول تعريف (بيبا مارلاند) في مقالها: (مقدمة في النقد البيئي) أنه "مصطلح شامل لسلسة من المقاربات النقدية التي تتحرى، من خلال الأدب (وبقيّة الأشكال الثقافية الأخرى)، تمثيل العلاقة بين البشر وغير البشر، من منظور القلق حول التأثير المدمر للبشرية على المحيط الإحيائي" (نيومان وآخرون، 2021: 9), وما زال الباحثون يستذكرون تعريف (تشريل غلوتفلتي) الرائد في كتابها (دليل القارئ للنقد البيئي)، حيث تقول إنَّ النقد البيئي هو "دراسة العلاقة بين الأدب والبيئية المادية. تمامًا كما أنَّ النسوية تستكشف اللغة والأدب من منظور وعي الجنوسة، وأنَّ النقد الماركسي يتناول الوعي بأشكال وسائل الإنتاج والطبقة الاقتصادية في قراءته للنصوص كذلك فإنَّ النقد البيئي يتخذ من الأرض مركزًا لمقاربته في الدراسات الأدبية" (نيومان وآخرون، 2021: 23-24). تحاول (غلوتفلتي) في تعريفها أن تضع آلية لمقاربة الإحساس بالبيئة بحيث يتفاعل المبدع ويتحاور مع البيئة ويستنطق مكنوناتها وخباياها، وكيفية تمثيل الطبيعة في هذا النص الإبداعي، وما هي إمكانية التداخل بين الدراسات الأدبية والخطاب البيئي في مجالات المعرفة الأخرى كالفلسفة وعلم النفس والتاريخ وغيرها (جرارد، 2009: 16).

أما (لورنس بويل) فيعرفه في كتابه (الخيال البيئي) بوصفه "دراسة العلاقة بين الأدب والطبيعة التي تسودها روح الممارسة البيئية"، (نيومان وآخرون، 2021: 70)، بينما يعرفه (مايكل برانش) على أنَّه ذلك الفرع من النقد الذي "يركز على نحوٍ خاص على العناصر الثقافية، اللغة والأدب وعلاقتهما بالبيئة، إنَّه موقف نقدي يضع إحدى قدميه في الأدب والأخرى على الأرض" (برانش، 2007: 44). يكشف هذا التعريف موضع الترابط بين البيئة الطبيعية والثقافة، وخصوصًا النتاجات الثقافية في اللغة والأدب، كما يحمل هذا التعريف إضافة مهمة تتمثل في إنَّ النقد البيئي ينفتح على

عدة مناهج - في تصوري هو نقد نسقي وسياقي في الوقت ذاته, فهو منهج بيني- إذ تنعقد فيه "ترابطات نصية منفتحة على سياقات مختلفة، فهو منتمٍ – على نحو أو بآخر – للسياق النفسي، والفلسفي، والثقافي، والتاريخي، والاجتماعي،... وهذا الانفتاح أهم ما يميز النقد البيئي" (محمد، 2022: 461)؛ لكونه نتيجة طبيعية لفلسفات ما بعد الحداثة التي تأكد على إعتاق العقل من الخضوع لهيمنة النقد الشمولي الصادر عن المركزية التي حاولت فلسفة الحداثة تثبيتها، إذ أصبح هناك إعراض عن المركزية الصارمة التي استدعت محاولات عدة للتمرد وإعلان تعدد المركز (تعدد الأصوات).

نخلص من هذه المفاهيم الى إنَّ النقد البيئي يعني بدراسة العلاقة بين النص الإبداعي والبيئة وكيفية تمثيل الطبيعة في هذه النصوص، لذلك تؤكد أغلب التعريفات على الاهتمام بدراسة القضايا البيئية أكثر من القضايا الاجتماعية، حيث ينظر "الى الفرد كعنصر في المنظومة الإيكولوجية" (برانش، 2007: 47)، فضلًا عن اهتمام النقد البيئي بالقضايا الطبيعية ومعالجة الأزمة البيئية، بهدف الكشف عن دور الثقافة في خلق علاقة تربط الإنسان بغيره من الكائنات في الوسط الحيوي, وهذا "يقود النص إلى العوم في فضاءات دلالية لا متناهية" (شكر, صايل, 2020: 23)

ومن أهم النقاد البيئيين المعروفين على هذا الصعيد هم: لورنس بويل، تشريل غلوتفلتي، سيمون سي. إستوك، هارولد فروم، وليم هارث، وليم روكرت، سولون كامبل، مايكل ب. برانتش، غلين. أ. (نيومان وآخرون، 2021: 223)، ومن الأسماء الشائعة لهذا النوع الجديد من النقد هي: شعريات البيئة Ecopoetics، الثقافة الخضراء Green Culture، النقد الأدبي البيئي Environmental Criticism، (نيومان وآخرون، 2021: 224)، والنقد البيئوي environmentl criticism، والنقد الإيكولوجي.

اليوتوبيا البيئية, والديستوبيا البيئية

تُشيرُ كلمةُ (يوتوبيا) – لمبتكرها (توماس مور)- الى اللا مكان، أو ليس في مكان، أو المكان الفاضل أو الصالح، أو مدينة الأحلام، أو المدينة الفاضلة عند (إفلاطون) في جمهوريته الفاضلة، و(بلوتراك) في حياة ليكورجوس، و(أرسطو فانيس) في مسرحياته الساخرة، مرورًا بيوتوبيات عصر النهضة، وعصر الثورة الانكليزية، وعصر التنوير، وانتهاءً باليوتوبيات الحديثة (سارجنت، 2016: 24). كل هذه المحاولات هي تصور خيالي لمدينة مثالية، عالم لا يشبه ذلك العالم المعاش على أرض الواقع، عالم متخيل يقف على الضد من سوداوية العالم القائم، حيث تختفي الأحقاد والشرور وتتحقق العدالة، ويعيش الناس سواسية في كل شيء.

بدايةً لا بد من الإشارة الى أنَّ الفكر اليوتوبي هو في الأصل تصور فلسفي "ينشد انسجام الإنسان مع نفسه ومع الآخرين ومع مجتمعه" (برنيري، 2017: 7) وبيئته، ثم بعد ذلك وظف هذا التصور للدلالة على فكرة تتجاوز الواقع نحو بناء مستقبل أفضل، بغض النظر عن إمكانية تحقق هذه الفكرة، أي سواءٌ أكانت يوتوبيا "مطلقة لا يمكن تحقيقها في أي ظرف، أو يوتوبيا نسبية غير قابلة للتحقيق فقط داخل النظام المُعطى" (ريكور، 2002: 255). أنَّ ما يهمنا في هذه الدراسة هي (اليوتوبيا البيئية) التي تصور نمط حياة البشر في تعاملهم مع البيئة الطبيعية، وخلق مدن حقيقية متصالحة مع البيئة للتغلب على الأزمة البيئية العالمية. وقد قدم المؤلف والناقد الأمريكي (آرنست كالينباخ) مصطلح (الإيكوتوبيا) بمعنى (المدينة الفاضلة البيئية) وجعله عنوانًا لروايته (إيكوتوبيا) التي تُعد من أهم الأعمال الروائية التي وظفت (اليوتوبيا البيئية) كتقنية تحذيرية للانهيار البيئي، وطرق الحفاظ عليها، حيث تتحدث عن تحول نمط الحياة الذي تحقق عن طريق العودة الى عدد من القيم الريفية، والاستخدام الانتقائي للتكنولوجيا (سيد، 2016: 93)، فضلًا عن روايات ثلاثية (المريخ) لـ(كيم ستانلي روبنسون)، حيث تُعد من روايات اليوتوبيا البيئية المهمة في تسعينيات القرن العشرين، حيث تجمع بين نمط اليوتوبيا وقصص استعمار الفضاء، إذ جرى تعديل كوكب المريخ ليصبح أشبه بالأرض وصالحًا للاستيطان (مراد، 2021: 15).

إنَّ من أهداف اليوتوبيا "تصور المستقبل على المدى البعيد، وتقديم تكهّنات أدبية كانت أم نظرية بما ينتظرنا، أي أنَّ اليوتوبيا تقدّم لنا رؤية بديلة يتراءى لنا من خلالها عالم أفضل يمكن بلوغه والإقامة فيه، حتى وإن سخرت أحيانًا من قلة كفاءتنا وعجزنا عن الوصول إليه" (العيادي، 2021: 15)، ولنا أن ننظر نظرة جادة إلى الوضع البيئي لنتأكد أننا دخلنا منذ منتصف القرن العشرين عهد احتباس حراري غير مسبوق، وموجات جفاف ضربت أغلب بلدان العالم، وقد يؤدّي ذلك إلى انقراض أشكال حياة كثيرة على الأرض، بما فيها الحياة البشرية؛ ما يعني أننا نواجه أخطر سيناريو ديستوبي تخيله الكتّاب، وما الوباء المتفشي (كوفيد19) في العالم الآن إلا كارثة بيئية عالمية، ولكن حتى إزاء مستقبل خطير كهذا لا نعدم روايات اليوتوبيا البيئية التي ترسم ملامح عالم ممكن، إذا ما استطاع الإنسان أن يحافظ على بيئته.

وإذا كانت اليوتوبيا هي المدينة الفاضلة فإنَّ الديستوبيا هي المدينة الفاسدة، وإذا كانت الأعمال الفلسفية والأدبية اليوتوبية تمثل (أدب المدن الفاضلة)، فإنَّ الأعمال الأدبية الديستوبية تمثل (أدب المدن الفاسدة)، هي باختصار صورة استشرافية لعالم خيالي مظلم، سوداوي، مخيف، فاسد، كابوسي، يشيع فيه الفقر والخراب والموت، نتيجة عارض ما، قد يكون سياسيًا أو اقتصاديًا أو بيئيًا أو صحيًا أو شيئًا آخر يعمل على إشاعة الموت والخراب في مجتمع ما.

يشتق مصطلح (ديستوبيا) من كلمة (دِيس) التي تعني سيء أو فاسد في اللغة الإغريقية القديمة، ولكن هذا المصطلح لم يدخل نطاق الاستعمال

الثقافي والسياسي كنقيض لمصطلح (اليوتوبيا)، إلا على يد المفكر الانكليزي (جون ستيوارت ميل) عام 1868م (مراد، 2021: 20). ولقد تعددت الأشكال والتصورات الخاصة بماهيات الديستوبيا وارتبطت بإشكاليات متنوعة، وما يهمنا من هذه الديستوبيات هي (الديستوبيا البيئية) التي "تهتم بالتأثير السلبي للإنسان في التعامل مع الطبيعة وعلاقته بها" (العشري، 2020: 282)، فكُتبت روايات وقصص عالمية تسرد حياة البشر الكابوسية نتيجة سطوة البشر على البيئة، واستغلال التطور التكنولوجي في تدميرها وتلويثها، وتصوير البعد الكارثي لثقافة الاستهلاك التي تعد أحد مسببات الأزمة البيئية, لأن "تغييب الوعي الذاتي أسهم على نحو فعال في تفكيك الذات وانطلاقها من منطلقات إيديولوجية" (الدبو, شكر, 2021: 260).

لقد ألهمت فجائعية الواقع البيئي العالمي خيال الكاتب فراحَ يؤثِّث عالمه الروائي بثيمات سوداوية يغلب عليها الطابع البيئي، وحتى الثيمات التي تصطبغ بصبغة يوتوبية فهي لا تبرأ تمامًا من الطابع الديستوبي، بل تجعله سببًا رئيسًا في ذلك النزوع، فلم تحلم الذات بواقع يوتوبي إلا لأنَّها تعيش واقعًا بيئيًا مأساويًا، فعينًا تنظر إلى "الواقع الخارجي المضطرب وأخرى إلى الواقع الفني, وذاتًا ما برحت تبحث عن مسافة ملائمة بين الواقعين" (شكر, صايل, 2021: 198-199), فما بين روايات غارقة في اليوتوبيا وأخرى تفتح على سوداويتها بابًا ربما يبدو رماديًا أكثر من كونه أبيض ناصعًا، يحدث هذا لأن الذات تعيش واقعًا يُغطيه الظلامُ إلا من خيط ضوء رفيع، إلا أنَّ هذه اليوتوبيا رغم رماديتها يمكن أن تكون ضروريةً لتحسين الواقع (تاور، 2016: 16).

الجانب التطبيقي

اليوتوبيا والديستوبيا البيئية في رو اية (اخناتون ونيفرتيتي الكنعانية)

في رواية (**اخناتون ونيفرتيتي الكنعانية**) تأتي (**مدينة أتون**)، مدينةً يوتوبيةً قامت على ضفة نهر النيل، قصدها الملك (**اخناتون**) وزوجته الملكة (**نيفرتيتي**) ومن اتبعهم من الناس الذين تركوا ديانة الاله (**آمون**)، حين رأوا فيها مدينة الخلاص من بطش كهنة الاله (**آمون**)، إذ توحدهم رؤية واحدة ومنظور واحد هو حب الحياة والعيش بسلام ووئام مع الكائنات الأخرى من النباتات والحيوانات، وتجمعهم عبادة واحدة ألا وهي عبادة الشمس، بوصفها مصدرًا للطاقة التي تغذي كل المخلوقات على الأرض، وهي التي تمد الطبيعة بالحياة، إذ تبين ذلك من الحوار الذي جرى بين الأمير (**أمنحتب**) والأميرة (**هيام**): "**أنا لا أصلي لأحد، بل أجدني مثلك أتأمل الشمس التي تحملينها في يدك، تحلمين بها لتحقيق آمالك، و أفكر في راع الإله المصري الذي يعبدونه، إذ يرونه في أشعة الشمس... الطاقة المسيطرة على الوجود... و أنا شاب مسالم، لا أحب الحروب، ولا قتل الحيو انات الآمنة، ولا ذبح الأيائل، بل أحب أن أراها وهي تطارد في الغابة، أو في السهول الواسعة، تصوري يا أميرتي الصغيرة لو أننا أبقينا على الحيو انات البرية، ولم نأكل لحومها، لبقيت الطبيعة متكاملة بمكوناتها، ولصارت الحياة فيها أبهى وأجمل، ولكني أرها بهذا الصيد الكثيف كالمرأة الجميلة صاحبة العين العوراء، لو نكتفي بالنباتات طعامًا، فالخضار والحبوب والبذور تعطينا الطاقة والصحة التي نريد. لو أننا لم نحرق أخشاب الأشجار، واستثمرنا أشعة الشمس كمصدر للطاقة، لعشنا في جنة سعيدة على الأرض. فأيدته الأميرة قائلة:**

وهذا ما أراه أنا أيضًا، فالشمس بحد ذاتها هي التي تمنحنا الحياة، وهي التي تجعلنا نرى مواطن الجمال، ونحس بالمتعة التي نبحث عنها... أحب سماع حفيف الأشجار، وأن أجلس أتأمل تعدد ألوان أور اقها الصفراء والبرونزية والنحاسية"، (فحماوي، 2020: 28-29). يتضح من النص المقتطع أعلاه أنَّ أول من وضع لبنات هذه المدينة هو الملك (**أخناتون**) بعد أن تنوّر بأفكار الملكة (**نيفرتيتي**) الجديدة والجريئة في ذلك الوقت.

تتوفر في هذا النص شروط الأدب البيئي، فمن خلال رؤية شخصيات الرواية نجد أنَّ هناك تفاعلًا بين الإنسان والطبيعة، بحيث نلمس بوضوح وجود وعي بيئي متمحور في الذات، فضلًا عن الأخلاقيات البيئية التي تسهم في الحفاظ على الطبيعة غير البشرية، مع توفر فكرة (العدالة البيئية) والتوازن البيئي. وهذا ما يعطي الحق لهذه المدينة صفة (اليوتوبيا البيئية)؛ إذ تتماهى شخصيات الرواية مع عناصر الطبيعة الحية والجامدة في وحدة كلية تطمس الحدود بين الإنساني وغير الإنساني، ويتبدى ذلك في الوصف وتمثلات القضايا البيئية. تُمثل مدينة (**أتون**) أحد طرفي الثنائية الضدية التي يتشكل منها معمار رواية (**اخناتون ونيفرتيتي الكنعانية**)، إذ إنَّ في الرواية تضادٌ بين صورتين، صورة يوتوبية تُمثلها مدينة (**أتون**) التي قامت على أسس العدالة البيئية، وصورة ديستوبية تُمثلها مدينة (**طيبة**) بقيادة الإمبراطور (**أمنحتب الثالث**)، إذ تُعد هذه المدينة (ديستوبيا بيئية) بالنسبة للكائنات غير البشرية، لكنها يوتوبيا بالنسبة لموكب الإمبراطور والصيادين، ويتضح ذلك من خلال عين الراوي العليم وهو يصور مشهد مطاردة الموكب الملكي للحيوانات البرية، فيقول "**عندما شاهدهما الإمبراطور أمنحتب الثالث، وقف من مقعده الطائر ملهوفًا، وأمر قائد العربة بالتحول بها نحو موقع الصراع، فاستعد الصيادون المر افقون، وصوّب كل منهم قوسه ونشابه، من فوق عربته السريعة الحركة، فانغرست عدة أسهم في جسد اللبوة المفترسة، وقد بقي الأسد و اقفًا ينظر يتجرع الألم تجاه لبؤته، التي وقعت على الأرض وهي تنظر الى دمها النازف، وأخذ يبدل نظر اته بين الصيادين وبين لبؤته المهدور دمها، وكأنه يستنكر هذا العنف الإنساني غير المبرر، ثم ينطلق مهاجمًا المسيرة الملكية، فتتم مواجهته باختراق جسده بعدة أسهم، انطلقت معًا من كل قوس ونشاب**" (فحماوي، 2020: 12-13), وبالرغم من الاختلاف الظاهر بين اليوتوبيا والديستوبيا، إذ عادة ما تعرّف الديستوبيا بكونها يوتوبيا مضادة، فإنهما في الحقيقة تقيمان علاقة متواشجة، فاليوتوبيات لا تؤول كلها إلى ديستوبيات، والديستوبيات ليست دائما يوتوبيات، في المقابل يمكن أن تحتوي الديستوبيات على عناصر يوتوبية، حيث يمكن أن تكون بعض الفضاءات ممتعة لبعض

الشخصيات كما هو الشأن في النص أعلاه، إذ يُعد هذا النص دليل على عدائية المكان (ديستوبي) بالنسبة **(للأسد ولبوته)** بدلالة الألفاظ **(يتجرع الألم)** و **(يستنكر هذا العنف الإنساني غير المبرر)**، بينما يُمثل للإمبراطور والصيادين مكان أليف (يوتوبي) يمارسون فيه الصيد الجائر لغير الحاجة، كما يقول **(تامي)** أحد صيادي الملك **"هذا الغزال يا مولاي وأخوته الذين سيتلونه، سيديرون على السفافيد للغداء الذي سنحضره اليوم تحت ظلال أكمة أشجار المطاط المتكاثفة قرب النيل"** (فحماوي، 2020: 13) فالصيد ليس لسدّ حاجتهم من الغذاء، ولكن استجابة لوازع القتل والمتعة. وهذا الفعل من أفعال الشر الذي يجعل هذا المكان ديستوبيًا بنظر الحيوانات، فضلًا عن استهلاك موارد 4البيئة الطبيعية واستنزافها. وإشارة **(تامي)** بـ**"عندما تكون الفرصة مواتية للانقاض على هذه الحيوانات وهي غافلة مسترخية، سنستضيفها لتكون في محمية خاصة، مثل محمية هؤلاء الصبايا الجميلات..."** (فحماوي، 2020: 13) فيها دلالة واضحة على التسلط البشري على الكائنات غير البشرية والتحكم في حرياتها.

تحاول الرواية تفكيك المركزية البشرية (Anthropocentrism) وتعرية النهم البشري الذي يعطيهم الحق في الهيمنة على الآخر البشري وغير البشري، وهذا ما يؤكد عليه النقاد البيئيون على إنَّ إنشاءات الطبيعة هي "جوهرية بالنسبة لصياغة هذه الأخلاق البيئية المضرّة وأساسية بالنسبة لصيانة طرق التفكير التراتبية التي تبرّر اضطهاد مختلف (الآخرين) في الثقافة البطريركية" (نيومان وآخرون، 2021: 31) فشخصية **(تامي)** تمثل أخلاق المركزية الذكورية (Androcentric) التي تعطيه الحق في الهيمنة على الآخر (النسوي), فهو يحتفظ بـ**(الصبايا الجميلات)** من أجل المتعة كما يحتفظ بالحيوانات من أجل إشباع رغباته وجشعه، ففي هذا النص ربط بين حقلين من المعرفة، النقد البيئي، والنقد النسوي البيئي، فكلا النقدين يبحثان عن الاستراتيجيات التحرّرية في الكتابة البيئية وإعادة تصور الطبيعة والعلاقات البشرية مع العالم الطبيعي، فأصحاب النزعة النسوية البيئية يؤكدون على أنَّ الكشف عن الروابط المجازية, والمفاهيمية بين الجنوسة, والطبقة, والعرق, وتمثيلات الطبيعة في الأدب هو جزء مهم في تشكيل الأخلاق البيئة (نيومان وآخرون، 2021: 32), فضلًا عن أنَّ (فحماوي) يصور النظام البيئي للحيوانات كوسيلة للتعليق على الوضع العام للمرأة في ظل سلطة الإمبراطور وحاشيته، وخير مثال على ذلك تصوير السارد لمشهد الصبايا والصيادين، فيقول: **"بينما تتضاحك الصبايا الحسان. ..واحدة منهن تهز جسدها ذا الخصر الضيق، والإلية السمينة الاستدارة، فتنسجم الأخريات معها برقصة تبرز جماليات أثدائهن العارية... ويقول صياد لصياد:**

(لاشك أنَّ الصبايا سعيدات، ذلك لأن كلًا منهن تستطيع استغلال جمالها لصالحها خير استغلال) فيجيبه رفيقه قائلًا:

(وهل لديهن غير هذه الطاقات التي توقع الشباب أرضًا!)" (فحماوي، 2020: 13). إنَّ تصوير الكاتب للمرأة على أنها مجرد جسد وطاقة جنسية خالية من أي مشاعر إنسانية يجعل منه ناقدًا نسويًا، على الرغم من أنَّ هؤلاء **(الصبايا)** لديهن موهبة التفكير بأنفسهنّ، إلا أنهنّ لسن أكثر من جسد تمثل في خدمة الرجال. هذه العلاقة بين إخضاع الحيوانات والنساء هي شأن حاسم ضمن معطيات مذهب النسوية البيئية.

ويتجلى مما تقدم وضوح الجو الديستوبي الذي يعصف بالعناصر المكونة للبيئة غير البشرية، وأوضح منه هيمنة الإنسان واستنزافه لموارد البيئة، فيستذكر **(الملك)** رحلات صيده فيقول "**أنا أتقن فن الصيد والقنص، فمنذ أن ارتقيت العرش، اصطدت في مثل هذه الرحلات أكثر من خمسين أسد ولبوة، ناهيك عن مئات الحيوانات البرية الأخرى، وتصرفنا بها بين القتل والذبح للشواء، واستضفنا الجميلة منها في محميات ملكية خاصة"** (فحماوي، 2020: 14). إنَّ ممارسات **(الملك)** والصيادين ممارسة نفعية غير منتظمة لم تخلُ من حافزٍ رأسمالي، وهنا تظهر النظرة البراغماتية لـ**(الملك)**، وأنانيته المفرطة في بحثه عن المنفعة المادية فقط، دون النظر الى محيطه البيئي، أو التفاعل معه على نحو أخلاقي، إذ إنَّ شيوع الجهل بموارد البيئة واحد من أبرز سمات الديستوبيا البيئية التي تسمُ المكان، حيث يمثل السارد الطبقات الغنية المتمثلة بالملك، والطبقات الفقيرة المتمثلة بالصبايا والحيوانات التي لا حول لها ولا قوة على حدٍ سواء، بينما الملك والصيادين و**(تامي)** في الفريق الآخر الذي لا يفهمون العلاقة التي تربط مختلف سكان الأرض.

في رواية **(أخناتون ونيفرتيتي الكنعانية)** غالبًا ما يستدعي المكان الدستوبي الآخر اليوتوبي في شكل مقارنةٍ آنية بين المكانين؛ تعميقًا أكبر للفارق الكبير بينهما، وذلك ما نجده في **(مدينة أتون)** إذ إنَّ ما يميزها ويجعل منها مدينة يوتوبية، أنها مدينة مسالمة أُسست على حب العمل ومساعدة الآخرين، على العكس من مدينة **(الملك)** التي تقوم باستغلال الموارد الطبيعية والبشرية على حدٍ سواء، فيقول **(أخناتون)** مؤسس المدينة الجديدة **"لا نريد في مملكتنا المصرية الجديدة هذه، توظيف طاقتنا للقتال والحروب، فالقتال بالنسبة لي هو توظيف القوة التي منحنا إياها (أتون) في فنون الأعمال المفيدة، وفي مساعدة الناس.. في الزراعة. . في التجارة.. في الابتكار.. في التأمل بجمالية كائنات هذه الحياة الفريدة من نوعها"** (فحماوي، 2020: 131) فهذه المدينة -كما تصورها الرواية- مكان يوتوبي متحرر من الحروب والاستغلال والجشع، مدينة تُعيد للإنسان صفاءهُ ونقاءهُ في تأمل عناصر البيئة الطبيعية، ويضيف **(أخناتون)** مؤكدًا على حب الطبيعة: "**إنَّ مظاهر الحياة هي أشياء مقدسة، كالناس والنباتات، والحيوانات، والطيور، والحشرات.. نعم والحشرات.. أليس النحل الذي يصنع العسل، من الحشرات.. وليس النحل وحده، بل جميع الحشرات.. وجميع الديدان ابتداء من ديدان القز التي تصنع الحرير، وحتى الديدان التي تهاجم محاصيلنا.. لا تستغربوا رأيي.. إنها تريد أن تعيش، كما نحن أيضًا... أريد في مملكتنا أن تعيش الكائنات الحية كلها متضامنة متكافلة، بأمان وسلام"** (فحماوي، 2020: 13).

يُشير المقتطف أعلاه على إنَّ هذه المدينة مدينة يوتوبية بيئية بامتياز، ويتضح ذلك من خلال شخصية **(أخناتون)** التي تبدي تعاطفًا رائعًا اتجاه الحيوانات، وامتلاكها وعيًا بيئيًا وأخلاقيًا، والأهم من ذلك كله أنَّ **(أخناتون)** يحمل همًّا بيئيًا، ونية مُبيتة لتربية الضمير البيئي في مدينة **(أتون)**، وهذا ما يؤكد عليه (بول روبنس Paul Robbins) "تقدم الإيكولوجيا العميقة أخلاقًا تؤكد على القيمة الطبيعية في ذاتها، وبذاتها، ولذاتها" (روبنس آخرون، 2017: 134) هذا المبدأ المهم من مبادئ الوعي البيئي قد تحقق في هذه الرواية على نحو كبير، حين عزم الكاتب الى تعديل سلوك المجتمع وعاداته السيئة في انتهاك البيئة وعناصرها، من خلال رؤية شخصية **(أخناتون)** وكأنه يردد دعوة (كرستوفر مانس) إلى أخلاق بيئية مضادة (نيومان وآخرون، 2021: 237) ومتحولة، إذ إنَّه ينتقد –**أخناتون**- استغلال الحيوانات وقتلها من خلال حواره مع حبيبته "**لا أحب الحروب، ولا قتل الحيوانات الآمنة، ولا ذبح الأيائل، بل أحب أن أراها وهي تطارد في الغابة، أو في السهول الواسعة، تصوري يا أميرتي الصغيرة لو أننا أبقينا على الحيوانات البرية، ولم نأكل لحومها، لبقيت الطبيعة متكاملة بمكوناتها**"(فحماوي، 2020: 28) ويقترح بديلًا عن أخلاق الاستغلال والهيمنة، والقتل، بقوله: "**لو نكتفي بالنباتات طعامًا، فالخضار والحبوب والبذور تعطينا الطاقة والصحة التي نريد. لو أننا لم نحرق أخشاب الأشجار، واستثمرنا أشعة الشمس كمصدر للطاقة، لعشنا في جنة سعيدة على الأرض.**" (فحماوي، 2020: 29), فضلًا عن خلق البيئات الطبيعية الحية والشخصيات الإنسانية الواعية ببيئتها الطبيعية، فإنَّ (فحماوي) يصف البيئة على إنها مصدر طاقة للإنسان، فهي التي تمده بكافة مستلزمات الحياة، وقد انعكست في هذا النص عدة أفكار تجعل الحياة البيئية أفضل للعيش ضمن هذه المدينة اليوتوبية، ففكرة استثمار اشعة الشمس كمصدر بديل للطاقة من حرق الأشجار، هي نفس الأفكار التي نادى بها حماة البيئة, وشبكة أصدقاء الأرض التي تختص بقضايا البيئة كالاحتباس الحراري، والصيد الجائر, والتعدي على الغابات (جرارد، 2009: 118). فعدم حرق الأخشاب هي مهمة بيئية للحفاظ على بيئة نظيفة في مدينة **(أتون)** خالية من التلوث، لتكون نقية صالحة للعيش البشري وغير البشري، وهذه هي أفضل وظيفة لليوتوبيا على حد تعبير (بول ريكول) (ريكور، 2022: 19) وهذا ما يعطيها صفة (اليوتوبيا البيئية). أنَّ هذا الشكل اليوتوبي الذي شاع في الرواية هو بحسب (سارجنت) "خلق مجتمع صغير للانعزال عن المجتمع الأكبر؛ لتطبيق معتقدات أعضائه دون تدخل أو تطفل من أحد، أو لإثبات أنَّ اليوتوبيا التي يؤمنون بها قابلة للتطبيق للمجتمع الأكبر" (تاور، 2016: 39).

وبناءً على هذا يمكن أن نعقد مقارنة بين شخصية الملك الأب **(امنحتب الثالث)**، وشخصية الملك الأبن **(أخناتون)**، وتكون المقارنة للتمييز بين المواقف الإيكولوجية لـ**(امنحتب)** و **(أخناتون)**، ففي حين يرمز الأول الى الاستغلال الإنساني والسيطرة على الطبيعة، إذ إنه يقدّر الأرض وبقيّة أوجه الحياة غير البشرية للبيئة على أساس قيمتها المادية أو النفعية، فإنَّ **(أخناتون)** يمثّل الفلسفة البيئية أو الإيكولوجيا العميقة ذات التمركز البيئي بديل التمركز البشري، التي تتنافر على نحو مؤثر مع النزعة المتمركزة على البشر لدى **(أمنحتب الثالث)**.

اليوتوبيا والديستوبيا البيئية في رواية (الإسكندرية 2050)

تستكمل **(الإسكندرية 2050)** المسيرة في بناء مكان يوتوبي على أنقاض المدينة الديستوبية، ولعلَّ ما حوته هذه الرواية من مقومات اليوتوبيا يكاد يكون نوعًا ما أكبر مما حوته سابقتها لسببٍ واحدٍ، وهو أنَّ **(الإسكندرية 2050)** رواية مستقبلية، فزمن أحداثها في العام 2050م، فضلًا عن أنها تعد من روايات الخيال العلمي التي وظف فيه (فحماوي) التقنية والتكنولوجيا في خدمة البشرية والطبيعة، واقترح حلولًا لمشكلات البيئة من خلال التطور العلمي الذي شهده العالم. يظن القارئ في بادئ الأمر أنَّ الرواية، يوتوبيا بيئية، إلا أنها في الحقيقة تتضمن رؤية ديستوبية لما آل إليه العالم من تطور وتقدم في مجال التقنية والتكنولوجية، وهيمنة المادة على الإنسان، إذ إنها "تقصد إلى محاكاة سوداوية الأحداث وعتمتها" (الشمري, 2019: 93).

يعرض لنا الراوي **(المهندس مشهور)** السرد بتقنية الاسترجاع، فيتذكر ماضيه وهو في مخيمات اللاجئين ثم رحلته الدراسية الى الإسكندرية، فيتنقَّل بنا الراوي بين الحاضر والماضي فيعقد مقارنة بين حاضر الإسكندرية في 2050 وماضيها أيام ستينيات القرن الماضي، فهذه "الالتباسات الحاصلة في المجتمع كان لها أثر كبير في الكاتب, مما أخذ يعكس عتمة هذا الواقع الذي فقد فيه المواطن مقومات العيش وعانى من التهميش وفقدان الذات" (العيساوي, الهاشمي, 2020: 6), لذلك يُشير الكاتب الى العديد من المشكلات البيئية في روايته التي أدت الى تغيرات مناخية وجغرافية بسبب ازدياد السكان وقلة المياه العذبة، فيصور لنا الراوي مشاهدته للإسكندرية في عام 2050م، فيقول: "**ها هي شواطئ المعمورة، وقصر المنتزه، تظهر على شاشتك، مشبوكة مع مدينة الإسكندرية في معمار واحد. وقد كانت أيام صباك متباعدة، تفصل بينها أرضٌ زراعية. وعلى الجهة الأخرى بحيرة مريوط، ومنطقة الملاحات، التي كانت رياحها تذرُّ الملح في العيون، فتبدو على شاشتك، وكأن شيئًا لم يكن! قالوا إنهم جففوها، وها أنت تراها مزروعة بالمشروعات المعمارية... وعلى البعد ترى مساحات واسعة شاسعة من تشوهات سكنية، لبيوت صفيحية صدئة، متراصة مترامية، في نهايات البحيرة، يبدو أنها لبقايا الفلاحين والعمال المتآكلين المعجونين بنفيات مدينة العولمة، والذين لفظتهم و أقصتهم حرية رأس المال، وطردتهم إلى صحاري موحشة بعيدة**" (الفحماوي، 2009: 7).

يحدد الراوي المشاكل البيئية التي تعرضت لها مدينة الإسكندرية وأهمها: اختفاء الأراضي الزراعية التي تعد السلة الغذائية للمدينة وهذا ما أشار اليه الراوي "**يبيعون أهل المدينة حليبها وعسلها وأجبانها وزبدها**" (فحماوي، 2009: 42)، وكذلك "**كانوا هنا يزرعون الحبوب والبقول، والقطن الطويل التيلة، وأشجار الحمضيات والجوافة والمانجا**" (الفحماوي، 2009: 42)، فهي العصب الاقتصادي للمدينة والرئة التي تتنفس منها، فنتيجة

التزايد السكاني وهيمنة الرأسمالية ساعدت في زوال الأراضي الخضراء، فضلًا عن تجفيف **(بحيرة مربوط)** واستغلالها للمشروعات التجارية، فالمشروعات العمرانية الكبيرة المقامة دونما مراعاة القضايا البيئية(*) هدفها الأول تحقيق مصالح اقتصادية لفئة معينة، وهذا عماد الفكر الرأسمالي.

كما أشار الراوي الى مشكلة بيئية مهمة ألا وهي: السكن العشوائي نتيجة الفقر والتهميش وتغوّل رأس المال، ربما تُشير العشوائيات الى بيوت الطبقات الفقيرة **(الفلاحين)**، بعد أن جُرفت أراضيهم الزراعية ولم يبق لهم عمل غير البطالة، إذ تفضح هذه العشوائيات إيديولوجيا الطبقة المهيمنة التي غالبًا ما تبرر الوضع القائم بمبررات منمقة تجعل الإنسان يعيش في حالة تبعية للآخر بفعل الاستلاب الرأسمالي، فيضيف الراوي **(المهندس مشهور)** قائلًا: **"كان شراء شركة (يون تشو الصينية) أرض المطار وما حولها، في شمالي محافظة البحيرة و إنشاؤه على مساحة مئة كيلومتر مربع، كانت تغمرها ملاحات بحيرة مربوط، يعد ضربة معلّم! اشترى الصينيون المنطقة بكاملها، وجففوها، فاختفت بقايا البحيرة الملحية الشاحبة الخضرة، وحل محلها مطار دولي فسيح. وحسب معلومات الإنترنيت كانت صفقة تجارية صينية رائعة"** (الفحماوي، 2009: 34).

يشكل هذا _من وجهة نظر ماركسية_ أحد العواقب الوخيمة للنظام الرأسمالي الذي تُكدس فيه الأموال لدى فئات دون أخرى. لقد قدمت الماركسية فضلًا عن نقودها للاستلاب الديني نقدًا لاستلاب آخر. هذا الاستلاب هو استلاب "محمولات العمل المستلب بإزاء رأس المال، مثلًا، تكاد تتطابق مع محمولات الانسان المستلب بإزاء المقدس" (لوك وآخرون، 2018: 154) أي في كلا الحالتين يُجبر الإنسان على الخضوع لمن يمتلك رأس المال من الجهات الخارجية، والى هذا أشارت الرواية بـ**(اشترى الصينيون المنطقة بكاملها وجففوها)**، في النص أعلاه نقد واضح للرأسمالية التي شاعت في مدن العولمة، فنشأت على إثر ذلك مدن ذات طابع ديستوبي مظلم بحق الإنسان والبيئة، إذ تعرض المزارعون للظلم البيئيّ كالاستيلاء على الأراضي، وممارسات العمل الاستغلاليَّة، والتَّهميش العرقي.

ومن المشاهد الديستوبيا البيئية التي حلت على العالم في (2050)، الاحتباس الحراري، فنتيجة ارتفاع درجات الحرارة أدى الى ارتفاع منسوب مياه البحر، واختفاء بعض المناطق السياحية، ويتجلى ذلك من خلال الحوار الذي دار بين الراوي و**(المرأة الآلية)**، فتقول: **"كانت هنا بحيرة اسمها مربوط. ولكنهم جففوها، وبنوا مكانها مشروعات مختلفة. ولكن كما ترى فالمياه عادت تتدفق من جديد، نظرًا لارتفاع منسوب البحر، ولو تدقق، فسوف تجد أنَّ محافظة البحيرة مهددة بأن تغمرها مياه البحر، بسبب الحرارة المتزايدة. لقد تطاول البحر علينا، وامتد ليغطي مساحات شاسعة من الشواطئ، والمناطق السياحية. .. ونحن الآن نتدارس حلولًا لهذه التحديات البيئية"** (الفحماوي، 2009: 34).

يعد هذا النص مؤشر على اختلال التوازن البيئي نتيجة للنشاطات البشرية ولتسلط الإنسان على الطبيعة، فعندما لا يُنظر إلى الطبيعة إلا من الزاوية التي تحقق المصلحة الذاتية فقط، فإنَّ هذا يعني عدم مراعاة أيّ قيمة سوى القيمة النفعية، فلا تُراعي البيئة ولا أخلاقياتها. إنَّ الشكل الديستوبي للرواية هو مثالي بالنسبة للكشف عن التدمير البيئي والبشري الذي لم يعد خيالًا علميًا، بل أصبح واقعًا معاشًا نتيجة الانتهاك الإنساني المطرد للأنظمة البيئية.

وتنهال الكوارث الطبيعية فترسم مشاهد ديستوبية، وسيناريوهات مرعبة بحيث يشعر القارئ أنه موصل فعلًا بالمكان ومرتبط بأحداثه، ومن هذه المشاهد ما يذكره **(المهندس مشهور)** وهو يحاور ابنه **(برهان)**، **"مكتبنا الهندسي الآن متورط في تصميم شواطئ واجهة دبي البحرية، فبعد هذا الاحتباس الحراري، وما نتج عنه من ارتفاع منسوب مياه البحر، الذي أغرق آلاف الجزر المنخفضة في أندونيسيا والفلبين والكاريبي، وغمر الدلتا _جنة مصر الخضراء، وسلة غذائها_ كما غرقت واختفت بعض الجزر الإماراتية المنخفضة، صار الخطر يتهدد السواحل كلها، وصارت إعصارات تسونامي الخليجية شغلنا الشاغل!"** (فحماوي، 2009: 54). بنبرة متشائمة تعالج الرواية موضوع التغير المناخي في إطار ما يمكن عده نوعًا أدبيًا جديدًا هو (الخيال المناخي)، أو (الديستوبيا المناخية) وهذا يقتصر موضوعه على الاحتباس الحراري وتداعياته في المستقبل القريب، إذ تناولت الرواية بصورة مستمرة الصراع بين الإنسان والطبيعة، في زمن تفاقمت فيه الأزمة البيئية، فالكاتب (صبحي فحماوي) يحذر البشرية من الاستغلال الصارخ للبيئة، ففي زمن الكوارث الطبيعية يظهر الحديث عن ضرورة احترام وخضوع الإنسان للطبيعة على نحو متكرر، وأنه يعيش بجانب نظام طبيعي داخله كائنات حية تشاركه هذا العالم وربما تسكنه من قبله، وإنَّ تلك الكوارث البيئية ما هي إلا تعبير واضح ورد فعل من الطبيعة عما يقترفه الجنس البشرى من آثام وجرائم ضدها، أو يمكن نسميه ثورة الطبيعة ضد ما تتعرض له من ظلم الإنسان من أجل إعادة التوازن للعالم أو انتقام وعقاب من الطبيعة للإنسان لانتهاكه لها.

وهذا ما يراه البروفسور البريطاني (James Loveiock) بأنَّ كوكب الأرض الغاضب سيحاول إعادة التوازن الى الطبيعة، بيد أنَّ ذلك سيعني إزالة الحضارة ومعظم الجنس البشري، ويضيف بأنَّ الجنس البشري وضع نفسه في حالة حرب مع الأرض، ووحدها الكوارث الآن يمكن أن توقف هذه الحرب التي يدمر فيها التلوث الصناعي البشري المناخ وتوازنات الرياح والمحيطات والبحار (محيو، 2020: 87). ويتفق المفكر (عبد الوهاب المسيري) في كتاب (دراسات معرفية في الحداثة الغربية) مع الطرح الإيكولوجي الذي يرى بأنَّ علاقة الإنسان الحديث بالطبيعة كانت علاقة استعمارية إمبريالية، تعامل فيها الإنسان مع البيئة كمادة خام يوظِّفها لخدمة مصالحه، مردفًا أنَّ رد الفعل الإيكولوجي المثالي الفاشي كان إعلان تفوق وسمو الطبيعة على الإنسان وتحديد العلاقة بين الطرفين كعلاقة صراع يخضع فيها الإنسان للطبيعة (المسيري، 2006: 20-42). وهذا ما أكدت عليه الرواية على لسان

(برهان) ابن الشخصية الرئيسة في الرواية بقوله: "**الحل يا والدي ليس بالإسمنت المسلح، فالطبيعة أقوى من الإنسان مهما حاول أن يستقوي عليها**" (الفحماوي، 2009: 56).

يكمن خلف الانتهاك الصارخ للبيئة مسوغ لاستغلالها، إذ إنَّ الثورة الصناعية قائمة على الافتراض الحداثي الذي وضّحه (مايكل آلين غيليسبي) في كتابه (الجذور اللاهوتية للحداثة) على أنَّ البشر هم سادة العالم الطبيعي، وأنَّ موارده مسخرة لمنفعتهم، وعلى هذا قامت كل الأيديولوجيات السياسية الحديثة (غيليسبي، 2019: 226). ففي كتاب (نقطة التحول) يقتفي المنظر الإيكولوجي (فريتوف كابرا) جوهر هذه الرؤية الحداثية، ليصل إلى ما سماه البراديم (الديكارتي – النيوتني)، هو الأساس الفلسفي للأزمة البيئية المعاصرة، حيث العالم قبل (ديكارت ونيوتن) ينظر له على أنه كيان عضوي يحمل داخله شبكة حياة ثرية متنوعة ومتعددة، أما بعد (ديكارت ونيوتن) فصُوِّر الكون على أنه آلة صماء والإنسان بوصفه الكائن العاقل هو الذي يمكنه بواسطة العلم التجريبي تشغيل هذه الآلة لصالحه، وبحسب (كابرا) كانت ثمار هذا التصور للإنسان والطبيعة، أي هيمنة النموذج الحداثي (الديكارتي-النيوتني)، نهبًا وتخريبًا متواصلًا من الإنسان للبيئة استمر لقرون (هيود، 2012: 319)، فالكاتب يتعامل بواقعية وهو يشير إلى المشاكل البيئية التي قد تحدث في المستقبل نتيجة النشاط البشري، لذلك يسعى في نصوصه السردية الى إثارة وعي القارئ بالدور الذي تؤديه البيئة كوجود مادي، والطبيعة بوصفها الفضاء المحيط بالإنسان، فالمبدع من خلال الأدب يسهم في إثارة الوعي البيئي لدى القرّاء للحفاظ على التوازن والانسجام البيئي من الأخطار التي تهدد الكوكب.

يذكر الراوي مشاكل بيئية أخرى في رواية **(الإسكندرية 2025)**، وهي شحة المياه العذبة نتيجة الاستهلاك المفرط للموارد الطبيعية ومنه قول **(برهان)** وهو يحاور والده عن عمله في الهندسة الوراثية "**(صار شغلنا الشاغل هو التسابق لإدخال الأرض في حجرة الإنعاش، فقد نستطيع إعادة الصحة والتوازن إليها. تصور أنهم عندما حاصروا التلوث البيئي، واستبدلوا الآليات النفطية بأخرى تستخدم الوقود النباتي، كانت تبعاته أسوء!)، (طبعًا أسوء، لأن الوقود الحيوي استهلك النباتات، فبدل أن نزرع لإطعام أفواه الجياع، صاروا يزرعون لإطعام أفواه الماكنات، بدل النفط الذي انتهى عصره، ولهذا ارتفعت أسعار الطعام، ها هو رغيف الخبز بدينار عربي. الفقراء يبادون اليوم بطاعون مجاعة دولية، وتسبب استهلاك الماء في عطش الكرة الأرضية!)**" (فحماوي، 2009: 55). يسعى الإنسان إلى مصالحه النفعية، حتى وإن أدى ذلك الى هلاك الطبيعة، فهو لا يأبه بقطع الأشجار وتحويلها الى وقود لإشباع أفواه **(الآليات والماكنات)**، فتتغير بذلك الطبيعة الجغرافية للبيئة، كما يؤدي هذا الفعل الى تغيرات في المناخ وشحة المياه، لأن **(الوقود الحيوي)** _حسب تعبير الرواية_ يستهلك المياه الصالحة للشرب والزراعة، فنتج عن ذلك ارتفاع أسعار الغذاء والتسبب في انتشار المجاعة والفقر بين الناس، حيث يُعد هذا أحد مظاهر التلوث البيئي، فبعد أن أراد الإنسان الحفاظ على الطبيعة من التلوث البيئي الناتج من احتراق وقود النفط، تسبب في مشكلة أكبر ألا وهي فقدان المياه العذبة وبالنتيجة فقدان التوازن الطبيعي للبيئة.

لقد جسّد (فحماوي) هذا الخطر من خلال سيطرة التكنولوجيا والآلة ورأس المال على البيئة واستهلاك مواردها، فصور للقارئ أجواء ديستوبية مخيفة، إذ أصبح بقاء الإنسان مرهون بالمحافظة على البيئة ومحتوياتها، ومن هذه الأجواء الديستوبية المرعبة التي تجسد شحة مياه الشرب، الحوار الذي دار بين **(مشهور)** وابنه **(برهان)** "**في رحلتنا الأخير هذه على الطيران العربي الموحد، كان المسافرون يشربون من المياه العادمة المنبعثة من حرق الهيدروجين بالأكسجين، مقتنعين بأنها المياه الفضلى للشرب!**" (فحماوي، 2009، 56). كل هذه صور موحية تنذر بديستوبيا بيئية حيث الناس تشرب الماء من عوادم الطائرات، من خلال ذلك تصور لنا الرواية الى أي درجة وصلت البشرية من التطور والتقدم العلمي لكنها لا تستطيع توفير المياه العذبة.

ويضيف **(برهان)** قائلًا "**نفس الشيء حصل معنا على الطيران الأوربي الموحد، إذ كان المضيف يتفاخر علينا بأنه قد أعد لكل منا فنجانًا من القهوة أو الشاي، مصنوعًا بمياه محارق الطائرة الهيدروجينية**" (فحماوي، 2009: 56). إنَّ هذه النصوص وغيرها من الرواية توجه رسالة تحذيرية إلى البشرية بأن سوء استغلال البيئة سيؤدي بمرور الزمن إلى تدميرها، وقد استعمل الكاتب مجاز البيئة لكي يعبر عن كوامن الشخصيات وعواطفها وردود أفعالها تجاه البيئة.

في مقابل هذه اللوحة المثيرة للحزن، هناك لوحة أخرى مثيرة للخوف، حيث يستمر الكاتب في خلق أجواء ديستوبية محملة بهموم بيئية من خلال حوار الراوي مع ولده **(برهان)** فيجيب والده قائلًا: "**تقصد أنَّ ما قبضوه ثمنًا للنفط، سينفقونه على مقاومة نتائج حرقه؟ حضارة الغرب المغرورة ترفهت بحرق النفط داخل سياراتها ومصانعها. تقول لك الإعلانات المُضللة: (عبئ سيارتك العملاقة بالنفط الرخيص، و انطلق الى محبوبتك!) وبعد عصر النفط، استهلكوا الغابات، وزرعوا مكانها عمارات جميلة المظهر، فأفرزت من تحتها برازًا ومجاري لوثت البيئة، وبثت غازات وسمومًا فضائية، أهلكت الحياة على الأرض!**" (فحماوي، 2009: 56). في هذا النص نقد واضح لحضارة الغرب المبنية على الاستغلال والجشع بدوافع مادية ونفعية، ولعلَّ هذا ما اشتغلت عليه الرأسمالية من حيث التركيز الكامل على النمو الاقتصادي والفلسفة النفعية المادية البحتة، بيد أنَّ الرأسمالية تبقى المشكلة المسببة للأزمة البيئية، نتيجة سطوتها الهائلة على البيئة وسيطرتها الأيديولوجية الكاملة التي لا ترى سوى الربح والتوسع المادي والاستهلاكي نمطًا للحياة، بغض النظر عن البيئة وتوازنها وطرق المحافظة عليها. وفي عبارة **(عبئ سيارتك العملاقة بالنفط الرخيص، و انطلق إلى**

محبوبتك!) لها وظيفة إيديولوجية وهي شرعنة الاستهلاك الملحوظ لأمة ثرية، ودعاية إعلانية الغرض منها الترويج لمنتوجات الرأسمالية. وهذا ما أكده كتّاب ورؤساء بارزون غير معادين للرأسمالية، بل هم رأسماليون على غرار فرانسيس فوكوياما وحتى مرشح الرئاسة الأمريكي السابق آل غور، ثم الرئيس أوباما نفسه، لذلك يجب إعادة النظر في عمل النظام الرأسمالي المسيطر، كخفض استهلاك واستغلال الموارد الطبيعية للبيئة، ومنح الأولوية للتوازنات البيئية وليس للنفعية المادية.

ومن المشاهد الديستوبية التي تأكد على قلة المياه، قول السارد: **"لا تملك إلا أن تقوم فتبول في المرحاض، وتضغط ماء الشفاطة الذي ينزل على شكل بخار حليبي مضغوط، ثم تفتح صنبور البخار المضغوط لتغسل يديك. كلها أدوات تستخدم تقنين المياه. قضية بيئية تعودنا عليها في الإمارات، ولكن أن تكون في اسكندرية البحيرة، وترى بأم عينيك ربوعها التي كانت خضراء، وقد جفت أغصانها، وتصحرت مراعيها، وترملت حقولها، فلم يعد ينكحها ويخصبها غمر مياه النيل المتقوقع على نفسه!"** (فحماوي، 2009: 54). يستمر الراوي في رسم المشاهد الديستوبية لينذر البشر من حجم الكارثة البيئية التي سيشهدها العالم لو استمر في الاعتداء على البيئة، إذ أشار في المقتطع أعلاه إلى بعض أدوات التقنين المستخدمة في الحفاظ على الماء التي أصبحت تُستخدم في مدينة الإسكندرية، وفي ذلك إشارة الى بلوغ المشكلة حدًا شديد الخطورة، لأن من المعتاد والمتعارف عليه أنَّ مدينة الإسكندرية مدينة ساحلية تُحيط بها المياه من كل جانب، وإنَّ قله المياه فيها معناه أزمة بيئية عالمية، وهذا ما سبب في جفاف المراعي وتصحر الأراضي الزراعية. وفي هذا السياق، بدأت تظهر المعالم التي أنذرت بقرب وقوع الكارثة البيئية، حيث فصل المدينة عن الريف بعد ما كان الريف يلتصق بالمدينة كالتصاق **(قشر الجوز بلبه)**، والتلوث الصناعي، وفقر الريف وانعزاله، وإزالة الأشجار والتصحر، شحّ المياه والفيضانات المدمرة، وقد عرض الكاتب أهم التحديات والمخاطر البيئية التي واجهت العالم نتيجة استغلال الإنسان للبيئة في عملية مدمرة لعلاقة البشرية مع الطبيعة. لقد قدم لنا (فحماوي) الوجه الديستوبي لمدينة الإسكندرية وعرض أهم الممارسات البيئية الخاطئة التي ساعد في خلق (الديستوبيا البيئية) تقلق الذات الإنسانية، حيث يساعد الأدب على تمتين الوعي البيئي من خلال اضفاء الطابع الدرامي على العمليات البشرية ونشاطاتها والآثار المدمرة على الحياة والنظم البيئية لكوكب الأرض.

لقد أظهر الكاتب الجانب المظلم للتكنولوجيا والتقنية الحديثة التي أسهمت في تدمير البيئة، موضحًا أهم المخاطر والمشاكل التي تنتج عن ذلك، لكنه في الجانب الآخر يحاول أن يوظف هذا التطور والتقدم لصالح البيئة وخدمة البشرية، ومن ذلك محاولات **(برهان)** الذي يعمل في الهندسة الوراثية في محاولة منه لإعادة **(الصحة والتوازن)** إلى الأرض، إذ تمثلت هذه المحاولات في إنتاج **(الإنسان الأخضر)**، الذي سينقذ الأرض بعدما أوشكت على الانتهاء، ويعيد التوازن الطبيعي على سطح الأرض، إذ يقال الراوي: **"مائة عام وعام من العمر المبدد. كأنك دخلت هذا العالم من باب، وخرجت منه من الباب الآخر! لم تكن تدرك أنك ستعيش، حتى تصل الى هذا (الزمن الأخضر)! كانوا يقولون: (سيأتي على الناس (زمن أصفر)، تهب فيه رياح صفراء، تصبغ الكون كله باللون الأصفر، فتصير الشوارع صفراء، والبيوت صفراء، والأشجار صفراء... كل هذا تفهمته، ولو في عالم الخيال. أما أن يكون حفيدك رائدًا لزمن أخضر حقيقي، فهذا هو مال لم يخطر لك على بال!"** (فحماوي، 2009: 6).

لقد صور الراوي التقدم العلمي وخصوصًا في مجال الهندسة الوراثية ليُظهر الجانب اليوتوبي للتكنولوجيا التي مكنتهم من دمج الخلية النباتية مع خلية الإنسان فنتج عنهما الإنسان الأخضر، وهذا ما أثار تعجب الراوي، إذ إنَّ هذه التقنية أثارت حفيظة الراوي فأخذ يتساءل في نفسه **"ترى هل تنجح عملية التخضير هذه، فيسيطر الحيوان الأخضر على هذا الكون الحيواني المتوحش؟ هل تشاهد مرحلة انتقالية جديدة، بعد الإنسان الأول، الذي تحضّر فانتقل الى مرحلة الإنسان الثاني، وها هو بعد أن توحشت حضارته ودمرت الأرض، تراه يتشكل بتكوينه الأخضر، فتشهد مرحلة الإنسان الأخضر؟"** (فحماوي، 2009: 17).

يبدو إنَّ الهدف من فكرة إنتاج الإنسان الأخضر، هي رد فعل لما آل إليه العالم نتيجة الإنسان المتحضر، الذي أضرت حضارته العالم الطبيعي والبشري على حدة، فتوحش ودمر الأرض وما عليها من أجل الانتفاع منها والاستحواذ على مواردها. إذن تصبح المادية عقبة يجب التغلب عليها، لذا ظهرت هذه الفكرة من أجل ترويض الإنسان ليتناغم ويتفاعل مع محيطه البيئي. يبدأ الراوي **(مشهور)** بوصف هيئة حفيده **(كنعان الأخضر)**، ليعطي للقارئ فكرة عن هذا الجيل المعدل وراثيًا، فيقول: **"ها هما برهان وكنعان قادمان لتناول حقائبهما من محطة حقائب طائرة فرانكفورت. لقاؤك مع ولدك وحفيدك الأخضر يسعد روحك! (بالأحضان يا برهان! بالأحضان يا كنعان الحبيب، صرت طويلًا يانعًا، وعمرك ما يزال عشرة ربيعًا! ما شاء الله يا كنعان! هكذا تنمو أخضر يانعًا، مثل النباتات الظليلة الجميلة! يخزي العين!) تخجل من إبداء ملاحظة كون حفيدك الأخضر كنعان يحتضن كلبًا أخضر صغير الحجم، ويلبس ملابس شفافة مصممة بلباقة لاستقبال أشعة الشمس، لإجراء عملية التمثيل الكلوروفيلي، ولكي تقيه من العوامل الجوية... شعره عشب نجيل أخضر، يقف مشرئبًا كثيفًا نضرًا لامعًا"** (فحماوي، 2009: 36-37).

يعطي الراوي جميع تفاصيل حفيده من لون وطول ونضج، جميع هذه الصفات مكتسبة من النباتات الخضراء، فشبه الشعر بالعشب الأخضر من حيث اللون والكثافة والنظارة، والطول الباسق الذي اكتسبه من طول الأشجار، كما تطرق لقضية توفير الطاقة الشمسية عن طريق الملابس الشفافة التي تحميه من الظروف الجوية وفي الوقت نفسه تسمح بدخول أشعة الشمس الى الجسم. إنَّ **(كنعان الأخضر)** يرمز إلى إعادة الاعتبار إلى

الطبيعة التي جرى تدميرها واستهلاكها، وتعويضها بـ**(الجيل الأخضر)** الذي يخدم على نحو إيجابي البيئة بكل مكوناتها. إنَّ الأهمية البالغة للنقد البيئي تكمن في محاولة عقد تصالح بين الإنسان والطبيعة بكل عناصرها، ذلك أنَّ انتهاكها هو في حد ذاته انتهاك للإنسان، وإنَّ الإيمان بمركزية البشر هو ما أدى إلى التدهور بيئي الذي يعاني منه الجميع،، فإنَّ النقد البيئي بكل ما قدمه و يقدمه، قد نبه إلى الدور الكبير الذي تلعبه الطبيعة في حياة الإنسان، و إلى ما تعانيه من إذلال بسبب الفقر المعرفي والادراكي بأهمية هذا الكوكب الذي نحن جزء منه (احمامة، 2021)، فـ**(الجيل الأخضر)** متصالح مع نفسه ومع بيئته، وهذا يأتي من تصورات جديدة لفهم الطبيعة يتجاوز المنظور التقليدي الذي تعود فيه الإنسان على الاستغلال والجشع.

ويستمر الكاتب في عرض مميزات **(الإنسان الأخضر)**، بصورة اليوتوبية البيئية والحيلولة دون زحف المظاهر الديستوبية إليه، ومن هذه المميزات فكرة التفاعل والتكامل مع العناصر البيئية الأخرى، إذ إنَّ هذه الفكرة هي إحدى اللبنات الأساسية التي نادت بها الإيكولوجية العميقة التي "تتضمن الاتحاد المعلن بين الإنسان وكل المخلوقات والبيئة التي حولها" (نيومان وآخرون، 2021: 94). وهذا ما أكدت عليه الرواية عندما سأل الراوي ولده **(برهان)** عن حفيدته **(تودُّد) "تتابع تعلم الآداب والعلوم والفنون وتطور التاريخ، والسلوك الإنساني القويم، فتجد أمها تُنير دربها بتثقيف وتربية جيدة: (أحبي زملاءك، تكاملي ولا تتنافسي معهم، ساعدي الناس وتعاوني معهم أحبي الطبيعة، اخدمي النباتات، ولاعبي الحيوانات، وساعديها على الاستمتاع بالحياة والتخلص من الألم. اعزفي الموسيقى للنباتات وللحيوانات..."** (فحماوي، 2009: 37).

إنَّ العيش في تناغم وتفاعل مع الطبيعة من أهم الأعمدة اليوتوبية، فلا تُقام اليوتوبيا البيئية دون هذا العماد، فمتى ما فُقِدَ صار المكانُ ديستوبيًا مظلمًا، ولعلَّ هذا ما اشتغلت عليه الإيكولوجية العميقة التي تدعو إلى تغيير المواقف المتمركزة حول الإنسان إلى مواقف متمركزة حول الأحياء التي تتمحور حول أي كائن في الطبيعة، فتجلى ذلك في النص أعلاه، حيث تفاعلت شخصية **(تودُّد)** مع الطبيعة بكل مفرداتها من (إنسان وحيوان نبات)، وهذا التكامل يدل على وعي تام بالبيئة ومحتوياتها.

إنَّ فكرة التفاعل مع الآخر يُعد انتصارًا على الإيديولوجيات المهيمنة على البيئة ونفيًا لها، فضلًا عن ذلك يزرع الفكر اليوتوبي في نفوس أصحاب الوعي البيئي بذورًا تثويرية، على أمل أن تنضج هذه البذور وتؤسس مدنًا صديقة للبيئة، ومن ذلك استنكار **(كنعان الأخضر)** وهو يعترض على كلام جده **(مشهور)** ويسأله: **"(ما هو البتلو الزهري يا جدي؟) يمد كنعان رأسه العشبي الأخضر سائلًا: (هل هو زهر مصري؟) فتجيبه باسمًا: (البتلو يا حبيبي هو لحم عجل رضيع. إنه طفل مدلل للبقر المصري، ولحمه زهري اللون). فيخاف الأخضر سائلًا: (وهل كانوا يذبحون أطفال البقر يا جدي؟)**

(كانوا وما زالوا يذبحونها يا حفيدي الجميل!) فيشرب كنعان قليلًا من ماء زجاجته ثم يقول (إنهم مجرمون، قساة القلوب! أنا أرفض هذا القتل! لماذا لا يدللون بقرهم يا جدي، على الأقل كما يدلله الهنود؟) فيجيبه أبوه: عندما يتعمم لونك الأخضر هذا يا ولدي، سينتجون عجل بتلو أخضر غير قابل للذبح، مثل كلبك هذا! يضع كنعان مصاصة الماء في فم كلبه الصغير ويواصل ثورته الخضراء قائلًا: (أستغرب كيف ينقضُّ الإنسان ويعتدي على ممتلكات الحيوانات، ويشرب حليبها، ويحطم خلايا النحل، ويسرق منها العسل؟ يجب أن تبقى الطبيعة حُرَّةً دون نهش. ..يجب أن لا نقتل ونذبح ونعتدي كي نعيش! يجب أن نعيش، وندع الكائنات الحية الأخرى تعيش مثلنا. هذه الكائنات دُررٌ متكاملة على سطح هذه الكرة الأرضية النادرة في الوجود الكوني، فكيف نقتلها... ينبح كلبه الأخضر بهدوء نباحًا معترضًا، يشعرنا بأنه يؤيد وجهة نظر صديقه كنعان..." (فحماوي، 2009: 42-43).

تتشكل يوتوبيا **(الإنسان الأخضر)** كما في **(مدينة أتون)** من أعمدةٍ، أهمها الحفاظ على البيئة ومحتوياتها، والعيش بسلام ووئام مع الكائنات الأخرى من دون الاعتداء عليها وهذا ما نلاحظه من استهجان **(كنعان الأخضر)** لقتل الحيوانات واستغلالها من قبيل البشر، لذلك تسعى الرواية الى إيجاد طرائق مختلفة للحفاظ على المجتمعين، البشري والطبيعي من الممارسات الخاطئة والدوافع المدمرة ضد "الوجود الكوني المتناقض مع الطبيعة" (السطاني وآخرون، 2021: 19)، حيث تتوافق رؤية **(الإنسان الأخضر)** مع رؤية تيار حقوق الحيوان ورؤية منظومة الأخلاق البيئية المتمركزة حيويًا التي ترى أنَّ هناك الزامات خلقية تخص النباتات والحيوانات وجميع الكائنات بوصفها أعضاء في مجتمع الأرض الحيوي، فواجب الإنسان احترام المنظومة البيئية والحفاظ على تنوعها الأحيائي من الإنقراض نتيجة الاستغلال والاستهلاك المفرط (زيمرمان، 2006: 122) وإقرار حقوق كل الكائنات والأشياء على قدم المساواة، وذلك من خلال تقويض المركزية الإنسانية، ومزاعم هيمنة الإنسان على بقية الأنواع. ويؤكد النص السردي على فكرة التكامل من خلال بعض العبارات كـ(**هذه الكائنات دُررٌ متكاملة**) و (**يجب أن نعيش، وندع الكائنات الحية الأخرى تعيش**) من أجل تغيير أهداف البشر وسلوكهم القائمة على الصراع والاستغلال المادي. وتتجلى كذلك فكرة التفاعل والتكامل من خلال إعطاء صوت لـ**(الكلب الأخضر)**، إنَّ قرار (فحماوي) في منح **(الكلب الأخضر)** صوتًا يذكرنا بالمبدأ الحواري لباختين، وهو المنظور الذي يحدّد قيمة تفاعل عدة أصوات في السرد، كنقيض لراوي واحد كلي العلم، بما يجعله "نصًا تشترك فيه مجموعة ذوات تختلف وتتمايز عن بعضها البعض" (شكر, 2021: 173) وهذا ما أكده (مايكل ج. ماكدويل) على التقاطع بين المبدأ الحواري لباختين والنقد البيئي في مقال له بعنوان: (طريق باختين الى التبصر الإيكولوجي)، فيقول: "إنَّ الشكل المثالي لتمثيل الحقيقة _ وحسب باختين_ هو الشكل الحواري، الذي يتفاعل فيه عدة أصوات أو وجهات نظر... وينتج عنه نوع من الحوار بين وجهات نظر

مختلفة تمنح قيمة لتشكيلة من المواقع الاجتماعية والإيديولوجية. مبتدئًا بفكرة أنَّ كل الكائنات في شبكة الطبيعة تستحق الاعتراف ومنحها صوتًا، فإنَّ النقد الأدبي البيئي ربما يتحرى كيف أنَّ المؤلفين قد مثلوا التفاعل بين الأصوات البشرية وغير البشرية في المشهد الطبيعي" (نيومان وآخرون، 2021: 233), ففي الراوية تختلط الأصوات ويسود التعدد, وذلك بسبب "ما تحتويه من أبعاد تاريخية واجتماعية تجعل منها ميدانًا لتعدد الأصوات وتشابكها, وتنوع الملفوظات والرؤى الإيديولوجية, بما يعني غياب السلطة والمرجعية الثابتة" (شكر, 2021: 175).

ولإعادة خلق التوازن البيئي إلى الأرض، يحاول (مشروع الهندسة الوراثية) دمج الكائنات الحية في ما بينها، لإنتاج كائنات تخدم الطبيعة وتكن صديقة للبيئة، وهذا ما يقوله **(برهان): "ولكننا لا نريد دمج الإنسان مع الأسد، بل دمج الأسد مع النبات، والإنسان مع النبات، وكل حيوان مع نبات، فيظهر لنا حيوان نباتي، لا تعتمد حياته على غريزة الصراع من أجل البقاء، بل البقاء من أجل الحب، والتمتع بالكون"** (فحماوي، 2009: 54). إنَّ الغاية من دمجد الكائنات مع بعضها هو إنتاج كائن متصالح مع نفسه ومع من حوله، فـ**(برهان)** لا يريد دمج ذكاء الإنسان مع قوة الأسد وشراسته، وبالنتيجة يولد لنا مخلوق أكثر فتكًا بالبيئة وكائناتها، لكنه يريد دمج الأسد مع النبات، والإنسان مع النبات، لما يحمله النبات من صفات تساعد على استدامة الطبيعة ومن ثمَّ استدامة الحياة على سطح الأرض، فينتج كائنًا جميلًا أقل استهلاكًا لموارد البيئة، وأقل اضرارًا بها، فتحيا كل الكائنات بعيش رغيد وتناغم وتآلف لتشكل مكانًا أليفًا، ومجسدَ بذلك يوتوبيا بيئية، إذ إنَّ من بين موضوعات اليوتوبيا البيئية عيش حياة أبسط، وتحقيق توازن بيئي أفضل.

بعد شعور الراوي **(مشهور)** بالقلق والخوف على حفيده الأخضر من أذى الإنسان الذي قد يرونه منافسًا لهم، فيطمئنه **(برهان)** بقوله: **"كل هذه المخاطرات محسوبة يا أبي. يجلس على مقعد هوائي الى جوارك وهو يجيب: ولهذا السبب عملنا حماية للفأر الأخضر والقط الأخضر والخروف الأخضر والأسد الأخضر، فوضعناهم في البداية فرادى، وبعد التأكد، وضعنا كل اثنين متعاديين في الطبيعة، في غرفة ضوئية واحدة، فلم يأكل القط الفأر، ولم يأكل الأسد الخروف. وبعد ذلك وضعناهم في غابة محمية واحدة، وراقبناهم، فلم يعتدِ أحدهم على الآخر، بل عاشوا كلهم في وئام وسلام. تراهم يسترخون على صخرة مشمسة، ويتأملون الحياة حول بركة ماء طبيعية"** (فحماوي، 2009: 82).

إنَّ هذه **(المحمية)** _كما تصورها الرواية_ مكان يوتوبي متحرر من أي صراع أو هيمنة كائن على آخر، كما يؤكد هذا النص على فكرة التآلف والتناغم بين العناصر البيئية، وكسر التراتبية الهرمية بين الكائنات، كالفأر والقط، والأسد والخروف، فهي في الطبيعة كائنات متنافرة أو أحدهما مهيمن على الآخر، ولكن بعد الإفادة من التقنية الحديثة في الهندسة الوراثية، حيث النبات القاسم المشترك بين هذه المخلوقات، عاشت الحيوانات بعد ذلك بتوافق ووئام فكلها كائنات خضراء منسجمة مع بعضها البعض، كل همها الاسترخاء والاستمتاع بالحياة، يتأملون الشمس التي هي مصدر طاقتهم وغذائهم، ويعيشون بلا قلق ولا خوف فهي حسب تعبير الرواية **(جنة على الأرض)**، ويضيف **(برهان) "والضبع لم يعد نتنًا، بل صار ضبع برائحة الصنوبر، وفيل برائحة البلوط، وخنزير برائحة الغار..."** (فحماوي، 2009: 81). وهذا تأكيدٌ على فكرة التكامل والتجانس بين العناصر البيئية التي تشكلت من خلالها اليوتوبيا البيئية.

ومن مميزات **(الإنسان الأخضر)**، حسب ما ورد في الرواية **"أنه لا يستخدم كثيرًا أجهزته التقليدية، كالجهاز الهضمي مثلًا، ولا يستخدم رئتيه للتنفس. والتمثيل الكلوروفيلي الذي يجري داخل جسده يستهلك ثاني أكسيد الكربون، ويفرز الأوكسجين الذي يستهلكه جسمه... فهو إنسان رائع يا والدي، فكما تعرفه، رائحة فمه ونقاء حلقه مثل رائحة ونقاء مياسم وبتلات زهر البرتقال، وما دام لا يتنفس، فهو لا يشخر ولا يضرط!"** (فحماوي، 2009: 83). الجميل في **(كنعان الأخضر)**، أنَّه صديق للبيئة، فهو لا يستعمل أجهزة جسمه التي تسبب في تلوث البيئة، بل على العكس فهو يزيد من نقاء الجو وصفائه من خلال ما يطرحه من أوكسجين وما يستهلكه من ثاني أوكسيد الكربون فيحافظ على التوازن البيئي عن طريق عملية التمثيل الضوئي، فيعدُّ كلاٌّ متكاملاٌ يتميز بالاستمرارية والاتزان، وهذه هي أحد أفكار فلسفة الاستدامة البيئية في الحفاظ على البيئة، وعلى ما يبدو أنَّ الكاتب يمهد لفكرة الاستدامة من خلال هذه الرواية التي هي كفيلة بنشر ثقافة بيئية مستدامة، وهذا يساعد على إيقاظ الضمير الجمعي، وإحداث وعي مجتمعي للحفاظ على البيئة الطبيعية (سعيد، 2022: 479).

ومن مميزاته أيضًا ما ورد في الرواية **"الحمد لله الذي تخلص كنعان من إشغال نفسه بقضايا الأكل. خاصة وأنَّ تكاليف الطعام في رحلتنا هذه تعادل أضعاف تكاليف الإقامة في الفندق. ولهذا جسمه الكلوروفيلي مصدر اقتصاد في النفقة، وانتصارًا للحياة التي تتلاشى بين مليارات الفقراء المعدومين، والذين لا يجدون لقمة الخبز. وليس هذا فحسب، بل هو توفير للعمر الذي نقضيه في انتاج وتداول وتحضير الطعام ومستلزماته، والوقت الذي نقضيه في تناول الطعام، وما ينتهي إليه من فضلات تلوث البيئة، فلا نملك الوقت للتحديق والتمتع بجماليات الكون، وتحقيق أهدافنا من الحياة"** (فحماوي، 2009: 87-88). مما يُلحظ في هذا المقطع السردي أنَّه يتطابق مع مفهوم التربية البيئية التي اكتسبت أهمية أكبر في الآونة الأخيرة, نتيجة لظهور الوعي بالمشكلات البيئية الكبرى، كمشكلة ازدياد اعداد السكان ومشكلة الطاقة ومشكلة الغذاء ومشاكل الفقر والتلوث واستهلاك الموارد الطبيعية وغيرها.

الخاتمة

الحمدُ لله واهب النعم، مانح العطايا ورافع النقم، والصلاة والسلام على نبينا الكريم الأشمِّ وعلى آله وصحبه ذوي الفضل والكرم.

فهذا الذي تقدم دراسة نقدية تتبع فيها الباحث (تمثلات اليوتوبيا والديستوبيا البيئية في روايتي اخناتون ونيفرتيتي الكنعانية، والإسكندرية 2050 للكاتب صبحي فحماوي، دراسة في ضوء النقد البيئي) من خلال علاقة الأدب بالمنظومة البيئية والطبيعية، إذ اشتملت الدراسة على الجانبين: النظري والتطبيقي، وقد انتهينا في هذا البحث إلى مجموعة نتائج نُجملها فيما يأتي:

- يعد الخطاب البيئي خطابًا ثقافيًا، فالعلاقة بين البشر والطبيعة هي في الأساس علاقة بين الثقافة والطبيعة، وإدراكنا لها تعد بناءً ثقافيًا.
- في (اليوتوبيا والديستوبيا البيئية) رسم صبحي فحماوي عوالم مثالية ومدنًا فاضلة، مقابل عوالم أخرى فاسدة ومظلمة، وفي كلا الحالتين تبلور نقدٌ واضحٌ للخاطب البيئي.
- أكثر ما تجلت اليوتوبيا البيئية في (مدينة أتون) وفي فكرة (الإنسان الأخضر) أي في روايتي (اخناتون ونيفرتيتي الكنعانية), و (الإسكندرية 2050)، أما الديستوبيا البيئية فقد احتلت مساحةً أوسع من اليوتوبيا البيئية في رواية (الإسكندرية 2050) وذلك أمرٌ فرضته طبيعة الأحداث السوداوية للتكنولوجيا وهيمنة رأس المال.

هذه هي أهمُّ نتائج الدراسة. وإنني إذ أقدم هذا الجهد المتواضع، لآمل أن أُوفق في تحقيق ما تصبو إليه نفسي في المساهمة في حقل الدراسات الأدبية والنقدية. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب.

المصادر والمراجع

أحمامة، ل. (2021). *النقد الايكولوجي والأدب*.

برانش، م. (2007). *النقد الإيكولوجي (الطبيعة في النظرية والممارسة الأدبيتين)*. جدة: النادي الادبي الثقافي.

برنيري، م. (2017). *المدينة الفاضلة عبر التاريخ*. (ط1). القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

جرارد، ج. (2009). *النقد البيئوي*. (ط1). أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.

الحسامي، ع. (2009). الضباب أتى.. الضباب رحل: قراءة من منظور بيئي. *مجلة علامات في النقد الأدبي، جدة*، 17(68).

روبنس وآخرون، ب. (2017). *البيئة والمجتمع مقدمة نقدية*. (ط1). القاهرة: منشورات المركز القومي للترجمة.

ريكور، ب. (2002). *محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا*. (ط1). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

زيمرمان، م. (2006). *الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان الى الإيكولوجيا الجذرية*. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

سارجنت، ل. (2016). *اليوتوبية: مقدمة قصيرًا جدًا*. (ط1). القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

سعيد، ع. (2022). النقد الأدبي البيئي (قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، وممارسة تطبيقية على قصة (رأيت النخل) لرضوى عاشور). *مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية*، 26(2).

السلطاني وآخرون، إ. (2021). النقد البيئي أفق أخضر في الدراسات النقدية المعاصرة. *مجلة اللغة العربية وآدابها*، (33).

سيد، د. (2016). *الخيال العلمي (مقدمة قصيرة جدا)*. (ط1). القاهرة: مؤسسة هنداوي.

شكر، ح. (2021). تجليات البوليفونية في (نشيد أوروك) لعدنان الصائغ قراءة في بوليفونية اللغات والأساليب. *مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب*، (33).

شكر، ح.، وصايل، ع. (2020). مستويات الأداء الفني في شعر عدنان الصائغ الفضاء الدلالي للصورة الشعرية أنموذجًا. *دراسات: علوم الإنسانية والاجتماعية*، 47(2).

شكر، ح.، وصايل، ع. (2021). حضور الموضوع والذات في تجربة الشاعر العراقي عدنان الصائغ (فاعلية التماهي وعطلُ الانفصال). دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، 48(1).

الشمري، ن. (2019). غرائبية المشهد الروائي وفاعلية الخيال العلمي في رواية حرب الكلب الثانية للروائي إبراهيم نصر الله: دراسة استشرافية. *مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب*، (29).

صايل، ع. (2012). الأصالة والحداثة عند الناقد عز الدين اسماعيل. *مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب*، (8).

العشري، س. (2020). حول مفهوم اليوتوبيا والديستوبيا كمدخل للاستلهام في فن التصوير المعاصر. *بحوث في التربية الفنية والفنون*، 21(1).

العيادي، أ. (2021). الديستوبيا أو اليوتوبيا المضادة مرآة الانسان المعاصر. *مجلة العرب*، (44).

غيليسبي، م. (2019). *الجذور اللاهوتية للحداثة*. (ط1). بيروت: جداول للنشر والترجمة والتوزيع.

فحماوي، ص. (2009). *الإسكندرية 2050*. عمان: دار الفارابي.
فحماوي، ص. (2020). *اخناتون ونيفرتيتي الكنعانية*. (ط1). عمان: دار الأهلية للطباعة والنشر.
لوك وآخرون، هـ. (2018). *الاستلاب*. (ط1). بيروت: دار الفارابي.
محيو، س. (2020). *انتفاضة وعي بيئي كوني جديد أو الانقراض*. (ط2). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
مراد، ع. (2021). *دستوبيا، كوابيس المدن الفاسدة في الأدب والفن*. (ط1). بغداد: دار دجلة الاكاديمية.
المسيري، ع. (2006). *عبد الوهاب المسيري: دراسات معرفية في الحداثة الغربية*. (ط1). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
نيومان وآخرون، ل. (2021). *النقد البيئي (مقدمات، مقاربات، تطبيقات)*. (ط1). البصرة: دار شهريار.
هيود، أ. (2012). *مدخل إلى الإيديولوجيات السياسية*. (ط1). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
الدبو، أ.، وشكر، هـ. (2021). تجليات الصراع الإيديولوجي في رواية (عجائب بغداد) لوارد بدر السالم. *مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب*، 32.
العيساوي، خ.، والهاشمي، أ. (2020). نقد الإيديولوجي في النص الروائي العجائبي: دراسة مقارنة لنماذج مختارة من أعمال ماركيز وفاضل العزاوي الروائية. *مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب*، (31).

References

Dystopia, D. 1988,

An Interetation of Blade Runner: Douglas E.Williams، International Political Science Association، Vo.4، Sage Publications، Ltd.

Hamama, L. (2021). *Ecological Criticism and Literature*.

Branch, M. (2007). *Ecological Criticism: Nature in Literary Theory and Practice*. Jeddah: The Cultural Literary Club.

Bernery, M. (2017). *The Virtuous City Through History*. (1st ed.). Cairo: Hindawi Foundation for Education and Culture.

Gerard, G. (2009). *Environmental Criticism*. (1st ed.). Abu Dhabi: Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage.

Al-Hussami, A. (2009). The Fog Has Come. The Fog is Gone: Reading from an Environmental Perspective. *Journal of Signs in Literary Criticism, Jeddah*, 17(68).

Robbins et al., B. (2017). *Environment and Society Critical Introduction*. (1st ed.). Cairo: Publications of the National Center for Translation.

Ricoeur, B. (2002). *Lectures on Ideology and Utopia*. (1st ed.). Beirut: The New United Book House.

Zimmerman, M. (2006). *Environmental Philosophy from Animal Rights to Radical Ecology*. Kuwait: World of Knowledge Series.

Sargent, L. (2016). *Utopia: a very short introduction*. (1st ed.). Cairo: Hindawi Foundation for Education and Culture.

Saeed, A. (2022). Environmental Literary Criticism (a reading in the Arab Environmental Studies Blog, and an applied practice on the story (I Saw Palm Trees) by Radwa Ashour. *Journal of Human and Literary Studies*, 26(2).

Al-Sultani and others, A. (2021). Environmental criticism is a green horizon in contemporary critical studies. *Journal of Arabic Language and Literature*, 33.

Sayed, D. (2016). *Science Fiction: a very short introduction*. (1st ed.). Cairo: Hindawi Foundation.

Al-Ashry, S. (2020). On the concept of utopia and dystopia as an introduction to inspiration in the art of contemporary photography. *Research in Art Education and Arts*, 21 (1).

Al-Ayadi, A. (2021). Dystopia or Counter-Utopia: The Mirror of Contemporary Man. *Al-Arab journal*, (44).

Gillespie, M. (2019). *The Theological Roots of Modernity*. (1st ed.). Beirut: Tables for publication, translation, and distribution.

Fahmawi, S. (2009). *Alexandria 2050*. Amman: Dar Al-Farabi.

Fahmawi, S. (2020). *Akhenaten and Nefertiti the Canaanite*. (1st ed.). Amman: Dar Al-Ahlia for printing and publishing.

Locke et al., H. (2018). *Al-Istlab*. (1st ed.). Beirut: Dar Al-Farabi.

Mehio, S. (2020). *A New Global Environmental Awareness Uprising or Extinction*. (2nd ed.). Beirut: Center for Arab Unity Studies.

Murad, A. (2021). *Dystopian, Nightmares of Corrupt Cities in Literature and Art*. (1st ed.). Baghdad: Dijlah Academic Dar.

Al-Masiri, A. (2006). Abdel-Wahhab Al-Masiri: Cognitive Studies in Western Modernity. (1st ed.). Cairo: Al-Shorouk International Library

Newman et al., L. (2021). *Environmental Criticism: Introductions, Approaches, Applications*. (1st ed.). Basra: Dar Shahryar.

Huyod, A. (2012). *An Introduction to Political Ideologies*. (1st ed.). Cairo: The Egyptian General Book Organization.

Al-Dabo, A., & Shukr, H. (2021) Manifestations of Ideological Conflict in the Novel (The Wonders of Baghdad) by Ward Badr Al-Salem. *Anbar University Journal of Languages and Literature*, (32).

Al-Issawi, K., & Al-Hashemi, A. (2020). Criticism of Ideology in the Miraculous Narrative Text: A Comparative Study of Selected Examples of Marquis and Fadel Al-Azzawi's Novelistic Works. *Anbar University Journal of Languages and Literature*, 31.

Shukur, H. (2021). Polyphonic manifestations in Adnan's Al-Sayegh the Anthem of Uruk Reading in Polyphonic Languages and Styles. *Anbar University Journal of Languages and Literature*, 33.

Shakir, H. & Sayel, A. (2020). Levels of Artistic Performance in Adnan Als'agh's Poetry Semantic Space for Poetic Image as Pattern. *Dirasat: Journal of Human and Social Sciences*, 2.

Shukur, H., & Sayel, A. (n.d). The Presence of the Topic and Self in the experience of Iraqi Poet Adnan AlSa'gh (The Effectiveness of Identification and Damage of Separation). *Dirasat: Journal of Human and Social Sciences*, 1.

Sayel, A. (2012). Originality and Modernity in the critic Izz al-Din Ismail. *Anbar University Journal of Languages and Literature*, (8).

Al-Shammari, N. (2019). The exoticism of the fictional scene and the effectiveness of Sci-fi in Ibrahem's Nasrallah The Second Dog War: Oriental study. *Anbar University Journal of Languages and Literature*, 29.